

من أعلام الحركة التحررية في المغرب العربي: علال الفاسي أنموذجاً

محمد رحاي(*)

جامعة سكيكدة، الجزائر.

بدأت ملامح الحركة الوطنية تتكوّن في بلدان المغرب العربي مع مطلع القرن العشرين، مستغلة الظروف الدولية للمطالبة بالحقوق وبالاستقلال، وفي هذا الاتجاه بدأت الحركة الوطنية المغربية بالانبعاث ما بين الحربين العالميتين، وكانت حركة وطنية تحرّرية تهدف إلى استقلال المغرب واستعادة سيادته على كامل أراضيه. ويعتبر علال الفاسي من أهم زعماء الحركة الوطنية المغربية، الذين قادوا المغرب نحو التحرّر والاستقلال، وذلك من خلال تصديّه للظهير البربري، وتزعمه للكتلة الوطنية، ثم الحزب الوطني المغربي، ثم حزب الاستقلال المغربي حتى حصول المغرب على استقلاله في العام ١٩٥٦. فمن هو علال الفاسي؟ وما هي أهم محطات نضاله السياسي والتحريري؟ وما هو موقفه من الوحدة العربية؟

أولاً: مولده وتعليمه

ولد علال بن عبد الواحد الفاسي في مدينة فاس في كانون الثاني/يناير ١٩١٠ في بيت يعرف بالعلم والجاه والغنى، وذلك في درب الهقار في زقاق العيون على ضفاف حي الأندلس، وعائلة آل الفاسي استطعت أن تكوّن في المغرب طبقة من المثقفين موزعين على مؤسسات الدولة. ووالد علال هو عبد الواحد الفاسي ولد سنة ١٨٧٥، وكان عضو مجلس العلماء وأمينه، وحافظاً لمكتبة جامعة القرويين وواعظاً في المسجد الملكي، سكن أسلافه الأندلس في نيبلا (Niebla) ثم ملقة (Malaga)، وبعد ذلك أتوا واستوطنوا مدينة فاس سنة ٨٨٧ للهجرة. خرّجت أسرة آل الفاسي الكثير من العلماء الذين كان لهم تأثير في الدولة المغربية، نذكر منهم «أبو المحاسن يوسف الفاسي» الذي كان زعيماً سياسياً^(١)، وعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي الذي كان يطلق عليه لقب «سيوطي زمانه» نسبةً إلى «السيوطي» أحد علماء

mohamedrehai@gmail.com.

(*) البريد الإلكتروني:

(١) محمد العلمي، علال الفاسي: رائد الحركة الوطنية (الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٨٠)، ص ١٢.

المسلمين، وكان لأعضاء أسرته إسهامات سياسية، من ذلك إسهامهم في صياغة مشروع دستور كان قد رُفِعَ للملك. بدأ علال حياته الدراسية على يد أبيه «عبد الواحد» في البداية، ثم حين بلغ الخامسة من عمره أرسله والده إلى الكتّاب القرآني، فتعلّم مبادئ العربية، كما حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وعمره سبع سنوات، وحفظ كذلك بعضَ النصوص الدينية والأشعار.

كان والد علال (عبد الواحد الفاسي) يحضر اجتماعات برفقة أصدقائه الفقيه غازي والحاج أحمد مكوار وعبد السلام الفاسي أستاذ علال، وهذه النخبة أصبحت فيما بعد من مساعدي علال في النضال الوطني، وقد قرّروا بمحضره إنشاء «مدرسة الناصرية الحرة» لهيئة النشء وتربيتهم تربية وطنية وأسندت إدارتها إلى «الفقيه محمد غازي»^(٢). في هذه المدرسة تعلّم علال مع الشباب مبادئ الفقه والتوحيد والنحو والأدب والعروض، وهناك تعرّف إلى رفاق له وكانوا يرتدون الزي التقليدي القومي، وكان هؤلاء الشباب^(*) متعاطشين للعلم ومتشبعين بالوطنية، والأمر الذي ساعدهم على الانضباط والالتزام رعاية الأولياء لهم ومحدودية مجال اللهو واللعب، وكان من هؤلاء الشباب من دخل كلية القرويين وتابع دراسته ومنهم من اختار الدراسة المزدوجة - العربية - الفرنسية في مدرسة مولاي إدريس الثانوية التي أنشأتها سلطات الحماية في فاس. ومنذ سنة ١٩١٩ ابتدأ الجيل السابق لعلال بالنشاط الوطني، وخصوصاً منهم الشباب الذي كان يتابع دراسته في مدرسة مولاي إدريس الثانوية، ومنهم نذكر: العربي الديوري والعربي قصارة وعبد القادر التازي وعبد الكبير الفاسي وغيرهم، وكانوا ينشرون مقالات في جريدة السعادة. دخلَ علال كلية القرويين في سنّ الرابعة عشرة، وكانت الكلية آنذاك عامرة بالآثار العلمية النادرة والكتب النفيسة، وكان شغوفاً بالقراءة والمطالعة وتعرّف هناك إلى طلبة نشطاء من أمثال الحسن بوعياذ.

ثانياً: تأثيره بالعمل الوطني

كان لـ «حرب الريف» صدى في نفسية علال الفاسي الذي كان يتابع أخبارها ويتأثر بمجرياتها، وكان يعرّف بنضال البطل عبد الكريم الخطابي في أوساط الشعب، وقد اقتصر دوره آنذاك على تحرير المنشورات مع بعض رفاقه وتوزيعها على السكان، وأهمها ما حرّره مع زميلين له ابتغاء نفي التهمة التي كانت السلطات الفرنسية والإسبانية في المغرب تلصقها بعبد الكريم مدعيةً أنه يطمع في الحكم، فكتبوا المنشور بذكاء وأهموا الجميع أنه صادر عن عبد الكريم، وكان فحواه أن «البطل يشكر أعيان الأمة على تأييدهم له، وتمنّيه أن ينصره الله ليحتفل معهم بجلاء الأجنبي في ضريح مولاي إدريس في ظلّ ملك البلاد»^(٣)، وبهذا أفسد علال ورفاقه مناورات المستعمر.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢.

(*) نذكر من بينهم عبد العزيز إدريس الذي اغتيل سنة ١٩٥٦، والهاشمي الفيلاي، ومحمد الفاسي،

وعبد العزيز بن عبد الله، وعمر بن عبد الجليل، وغيرهم...

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

تأثر علال الفاسي بالدعوة السلفية التي ازدهرت في المغرب ما بين سنتي ١٩٢٦ و ١٩٣٠، وتجسدت في طائفة من علماء فاس، وأساسها العودة إلى العقيدة الصحيحة والسنة النبوية ومحاربة الشعوذة والخرافة والطرقية التي انتشرت في المغرب كله، إلا أن سلفية علال كانت سلفية عقلية ووطنية لا تلغي العقل^(٤)، وهذه المسألة هي محلّ تجاذبات فكرية، إذ يذهب عبد الله العروي إلى اعتبار السلفية من التقليد الذي ينافي العقل، وينتقد السلفية في شخص محمد عبده، ويعتبر التقليد أحد أسباب التأخر العربي^(٥). في سنة ١٩٢٦ ترأس علال الفاسي جمعية سرية في فاس^(٦)، في حين قادَ بلافريج جمعية أخرى في الرباط، ولم يكن يعرف أحدهما الآخر في هذه المرحلة، على الرغم من أنهما من زعماء المغرب وصانعي استقلاله. كما قام كلُّ منهما بتكوين نوادي لاقت قبولاً لدى الشباب وأصبحت نوادي أدبية وسياسية، يجمع بينها وحدة الشعور والمصير إزاء ما يلاقونه من سياسات استعمارية ظالمة.

ثالثاً: علال ومسألة الظهير البربري

في ١٦/٥/١٩٣٠، أصدرت الحماية الفرنسية قانون «الظهير البربري» وهو ظهير كان يهدف إلى عزل المغاربة البربر عن المغاربة العرب، وهي سياسة اعتمدتها فرنسا منذ أيلول/ سبتمبر ١٩١٤ بزعامة المارشال ليوطي مقنن الغزو الثقافي في المغرب فكان لذلك أبرز الأثر في حياة علال السياسية^(٧). حرص علال على ضرورة توحيد الصف إزاء ما يدبر للمغاربة من مكائد استعمارية ومحاولة للمس بقيمهم وبمبادئهم، وقد اعتقل لأول مرة في الفاتح من تموز/ يوليو ١٩٣٠ بتهمة إثارة حملة احتجاج المواطنين ضدّ الظهير البربري، ثم أفرج عنه بعد أن قضى نحو شهر في السجن، ولكن بعد أسابيع أعيد اعتقاله إثر مساهمته في وضع المطالب المغربية التي قدّمها الوفد المنتخب لجلالة الملك، وهذه المرة نُفي إلى قرية في الأطلس المتوسط^(٨)، وعقب عودته من المنفى قادَ الحركة السياسية الوطنية التي انتشرت في المغرب كله، وأصبح منذ ذلك الوقت من أبرز شخصيات الحركة الوطنية المغربية. بعد عودته من المنفى شرع علال في إلقاء سلسلة من الدروس والمحاضرات الليلية في المساجد والمدارس وجامع القرويين. وقد

(٤) عبد الكريم غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي (الدار البيضاء: الشركة المغربية للطبع والنشر، ١٩٧٤)، ص ١٢٩.

(٥) عبد الله العروي، مفهوم العقل: مقالة في المفارقات، ط ٤ (بيروت: الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧)، ص ١١.

(٦) سعيد بنسعيد العلوي، الوطنية والتحديثية في المغرب: مجموعة دراسات حول الفكر الوطني وسيرورة التحديث في المغرب المعاصر (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧)، ص ٨٢.

(٧) أنور الجندي، الفكر العربي المعاصر في معركتي التعريب والتبعية الثقافية (القاهرة: مطبعة الرسالة، [د.ت.])، ص ٢٢٦.

(٨) العلمي، علال الفاسي: رائد الحركة الوطنية، ص ٥٢.

عملت سلطة الحماية على منعه من إعطاء الدروس عن طريق مجلس القرويين^(٩)، وكانت تكلف من يسجل دروسه لتحصي عليه مؤاخذات سياسية ودينية لإدانته.

بالتوازي مع نضاله السياسي التحرري كان علال يجتهد في التحصيل العلمي من أجل الحصول على درجة العالمية من القرويين، ونجح في الامتحان النهائي المؤهل للأستاذية، وكان آنذاك في سن الرابعة والعشرين، إلا أن المجلس العلمي استدعاه رفقة زميله عبد العزيز بن إدريس وإبراهيم الكتاني، وذلك بأمر من الإقامة الفرنسية لإبلاغهم بأن «صفة عالم» لن تمنح لهم إلا بعد أن يوقعوا الالتزام التالي: «أعلن أسفي على موقف الاحتجاج الذي صدر عني ضدّ الظهير البربري، وذلك الموقف لا يليق بشخص في مقامي، ألتمس العذر وألتزم صراحةً بأن لا أعود إلى مثل ذلك الموقف وأتعهد بتنفيذ جميع أوامر الحكومة وبأن أمتثل لها دائماً، إلا أنهم جميعاً رفضوا التوقيع، وبذلك فقدوا الحصول على «صفة عالم»^(١٠). استمر علال في إلقاء دروسه مجاناً في القرويين، واستمرت المراقبة على دروسه، وفعلاً رُفعت تقارير تدين علال إلى السلطان. قرّرت الإدارة اعتقاله عند عودته من طنجة عام ١٩٣٣، لكن علال علم بالأمر فلم يدخل إلى المنطقة المشمولة بالحماية الفرنسية، وذهب إلى إسبانيا ومنها توجه إلى فرنسا ثم سويسرا، وكانت أول مرة يغادر فيها علال إلى الخارج^(١١).

احتكّ علال في أوروبا بالكثير من المناضلين العرب والمسلمين، ومن أهم لقاءاته في أوروبا لقاءه مع أمير البيان شكيب أرسلان الذي أشار على علال بضرورة توحيد جهود الوطنيين المغاربة في برنامج مشترك وفي سنة ١٩٣٤ رجع علال إلى المغرب، ووجد أن والده عُيّن قاضياً في «بوشرون»، وكان هذا التعيين رغبة من الإدارة في إبعاد علال عن فاس، وفي تلك السنة استقبله الملك محمد الخامس وتناولوا مسائل التعليم في القرويين، وكان هذا اللقاء تفويتاً لخطة الاستعمار التي تقضي بزعزعة العلاقة بين الكتلة الوطنية والسلطان المغربي، فقد أشاع الاستعمار «أن رحلة الزعيم علال الفاسي إلى باريس كانت بإيعاز من «كتلة العمل الوطني» من أجل التفاوض مع المولى عبد الحفيظ لعودته إلى العرش المغربي»^(١٢)، كما أقامت الكتلة احتفالات بعيد العرش.

رابعاً: علال يقود كتلة العمل الوطني

كانت كتلة العمل الوطني قد تكوّنت من الوطنيين، وكان علال من بين أعضائها. تقدمت الكتلة بـ «مطالب الشعب المغربي» إلى جلالة الملك وإلى الإدارة الفرنسية سنة ١٩٣٤^(*)،

(٩) Gaudio Attili, *Allal El-Fassi ou l'histoire de l'istiqlal* (Paris: Edition Alain Moreau, 1972), p. 25.

(١٠) العلمي، المصدر نفسه، ص ٥٨.

(١١) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(١٢) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي (القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٤٨)،

ص ١٨٣.

(*) يتكوّن الوفد الذي قدّم المطالب إلى جلالة الملك من: محمد غازي وأحمد الشرقاوي وعبد العزيز بن =

وفي سنة ١٩٣٦ قامت الكتلة بعقد عدّة مؤتمرات وتجمّعات شعبية بعد أن نظّمت نفسها وكوّنت الخلايا، وأصبحت تلحّ على تحقيق مطالب الشعب السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وقد منعت السلطة الاستعمارية اجتماعاً قبيل انعقاده في الدار البيضاء، وأصرّ الوطنيون على انعقاده، فقامت السلطة بمحاصرة الاجتماع، واعتقلت منظّميه، وكان بينهم «علال الفاسي»^(١٣)، وعلى إثر هذا الاعتقال اندلعت تظاهرات احتجاجية عمّت جميع مناطق المغرب، واعتُبر علال مسؤولاً عنها، ونجم عن هذه التظاهرات اعتقال المئات من المواطنين.

بعد شهر من الاعتقال أُطلق سراح القادة، فانتهت الكتلة علال رئيساً لها، وبازدياد نشاط الكتلة أقدمت الإدارة على حلّها بدعوى أنها تهدف إلى خلع الطاعة عن السلطان^(١٤)، وفضّلت الكتلة عدم مواجهة هذا الاستفزاز إلى حين هدوء الأمور واستغلال الوسائل الممكنة، واكتفت برفع احتجاج صريح وقوي اللهجة إلى الحكومتين المغربية والفرنسية على هذا الإجراء الذي يتنافى والحريات العامة.

خامساً: علال يقود الحزب الوطني

بعد شهر من حلّ الكتلة، انعقد مؤتمر تقرّر فيه تأسيس «الحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية» وذلك في نيسان/أبريل ١٩٣٧^(١٥)، واختار الحزب سياسة أكثر جرأة في المطالبة بالحقوق السياسية، ومن هنا بدأ الصدام مع سلطة الحماية. وحدث أن اعتقلت الإدارة عدداً كبيراً من المناضلين في مختلف الأقاليم، وكان الاعتقال مصحوباً بالعنف، فعقد «الحزب الوطني» مؤتمراً عاماً للمسيرين لدراسة الموقف، بإشراف علال الفاسي، ووجّه المؤتمر الحزب إلى اتخاذ سياسة صريحة بمعاداة الحماية وتصرفاتها، وخرج بميثاق رفع إلى الإقامة العامة، وكان ردّ فعل الإقامة أنها أقدمت على اعتقال المسؤولين الرئيسيين في الحزب الوطني وعلى رأسهم علال ومحمد اليزيدي وعمر بن عبد الجليل وأحمد مكوار.

مكثّ علال في زنزانته بالسجن العسكري في قصر السوق، ثم نُقل يوم ٣١ تشرين الأول/أكتوبر إلى منفاه بالغابون بعد أن اعتُقل فترة في «سان لوي» في السنغال، حيث قضى مدّة تسع سنوات في المنفى حتى ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٤٦^(١٦)، وذلك في قرية «مويلا» المهجورة

⁼ إدريس وأبو بكر القادري. والوفد الذي قدّمها إلى الإقامة العامة يتكوّن من: علال الفاسي، ومحمد اليزيدي، ومحمد الديوري، والوفد الذي قدّمها إلى الخارجية الفرنسية يتكوّن من: عمر بن عبد الجليل ومحمد ابن الحسن الوزاني.

(١٣) عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية في المغرب: من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال (الدار البيضاء: الشركة المغربية للطبع والنشر، ١٩٧٦)، ص ١٧٨.

(١٤) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(١٥) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٢٢٨.

(١٦) محمد السلوي أبو عزام، أسرار وحقائق عن علال الفاسي (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة،

١٩٨١)، ص ٢٥.

بالغابون، وكان سجين منزل ضيقّ يسمح له بنصف ساعة في الصباح ومثلها في المساء ليتجول في أحد الشوارع القريبة مع حارس خاص.

على الرغم من هذا النفي فإنه لم يتوان عن المطالبة باستقلال بلاده عند أول فرصة لقاء بالمسؤولين الفرنسيين، ومنها مطلبه الذي تقدّم به لدى حكومة «فرنسا الحرة» التي كانت تحت رئاسة الجنرال «ديغول»^(١٧). وقد حدثت احتجاجات واسعة عند اعتقال الزعماء الأربعة، وقام الحزب بتنفيذ خطة الاحتجاج، فأعلن إضراباً عاماً في الأسواق، كما دعا إلى تجمع في المساجد، وأسفرت هذه الأحداث عن اعتقال نحو خمسة آلاف من المواطنين، وغصّت المحتشدات الصحراوية والسجون بالمعتقلين، الذين بلغ التعذيب بهم أشده.

سادساً: علال يقود حزب الاستقلال

كان الاستقلال هدف علال، لذلك لم يفوت فرصة للعمل والاحتجاج والمطالبة به، فقد حدث أن «وجّه منشوراً إلى الطلبة من أجل بذل كل ما في وسعهم لدى دول الحلفاء وخصوصاً فرنسا من أجل الحصول على الاستقلال»^(١٨). كانت لجنة من الحزب قد حرّرت عريضة المطالبة بالاستقلال، وعُرضت على الملك ووافق عليها، وتم الاتفاق بين الملك والحزب على أن يقدّم له وفد الحزب العريضة قبل موعد المستشار الفرنسي بنصف ساعة، ليعرف الخبر ولتطلع عليه الإقامة العامة. قدّمت وثيقة الاستقلال إلى الملك والإقامة العامة وسفارات دول الحلفاء صباح يوم ١١ كانون الثاني/يناير ١٩٤٤^(١٩)، ومنذ ذلك الحين أصبح الحزب الوطني يُعرف بحزب الاستقلال، وكانت مهمته الأولى التحرير القومي، وأصبح علال زعيم هذا الحزب^(٢٠).

أطلق سراح المنفيين وفي طليعتهم علال الفاسي عند حلول المقيم العام الجديد «إيريك لابون» الذي استجاب لرغبة الملك محمد الخامس وعامة الشعب المغربي في الإفراج عنه، واستقبله الشعب المغربي بحفاوة، وفي أيار/مايو ١٩٤٧ سافر علال الفاسي إلى القاهرة عبر باريس ثم التحق به عبد الخالق الطريس، وفي تلك الفترة عُيّن الجنرال «جوان» مقيماً عاماً للجمهورية الفرنسية في المغرب.

في باريس التقى علال بعدد كبير من المغاربة، وبعده شخصيات فرنسية أبدت تعاطفها مع الحركة الوطنية المغربية، كما حضر مهرجاناً سياسياً نظّمه الحزب وحضره نحو خمسة عشر ألف مغربي وجزائري، وتأكّد من خلال هذه الزيارة أن فرنسا غير مستعدة لمنح المغرب الاستقلال خارج إطار الاتحاد الفرنسي ووفق شروط لم يقبل بها الوطنيون، فغادر علال إلى

(١٧) غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي، ص ٢٠٤.

(١٨) Mahfoud Kaddache, *Histoire du nationalisme algérien, Tome 2: 1940-1951*, Divers, 2nd ed. (Paris: Mediterra, 2003), p. 637.

(١٩) غلاب، تاريخ الحركة الوطنية في المغرب: من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال، ص ٢٧٦.

(٢٠) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٢٨٤.

القاهرة حيث انضم إلى زعماء المغرب العربي من أجل تحقيق الاستقلال، وهناك تكوّنت «رابطة الدفاع عن مراكش». في القاهرة انعقد مؤتمرٌ لدراسة قضايا المغرب العربي بإشراف جامعة الدول العربية، تمخّص عنه اتفاق كلٍّ من حزب الاستقلال المغربي وحزب الشعب الجزائري والحزب الحر الدستوري التونسي على العمل سوياً من أجل الاستقلال، وأسهم علال الفاسي داخل مكتب المغرب العربي بفعالية، كما انتُخب كاتباً عاماً للجنة تحرير المغرب العربي التي تضمّ أحزاب الشمال الأفريقي.

في مصر قام علال بعدة نشاطات منها كتاباته الصحفية وإلقاء العديد من المحاضرات؛ حيث كان أستاذاً محاضراً في جامعة الأزهر، كما شارك في عدّة مؤتمرات واجتماعات، وتعرّف إلى شخصيات عربية ومغربية كالأمين العام لجامعة الدول العربية (عبد الرحمان عزام) والوزير الأول (مصطفى النحاس)، ومن المغرب العربي «بن بلة» و«خيزر» و«بورقيبة» و«صالح بن يوسف»، واختاره المجمع اللغوي في القاهرة عضواً مراسلاً له، وكذلك فعل المجمع العلمي العربي في دمشق.

أثناء إقامته في مصر أسهم علال الفاسي - بالإضافة إلى أعضاء مكتب المغرب العربي في القاهرة - في فرار البطل المغربي محمد بن عبد الكريم الخطابي من الباخرة «كاتومبا» التي توقفت في «بور سعيد»، وكانت قادمة من منفى «جزيرة الرينيون» ومتوجهة إلى فرنسا لنفي البطل المغربي وأسرته ثانية. والتقى أعضاء المكتب بالخطابي في الباخرة، وهناك أعلن الخطابي طلب اللجوء إلى حكومة القاهرة ولُبي طلبه، وأمر اللجوء كان بطلب من عبد الكريم الخطابي نفسه^(٢١). وفي اليوم الخامس من حريته حظي «عبد الكريم» بلقاء «الملك فاروق»، واستلمت مصر احتجاجاً رسمياً من فرنسا على ما وصفته بمؤامرة مصرية لتهريب «محمد بن عبد الكريم الخطابي»^(٢٢)، فكان لعبد الكريم دورٌ في مصر حيث ترأّس لجنة تحرير المغرب العربي في كانون الأول/ديسمبر من العام ١٩٤٧.

لم يتوانَ علال عن نصرة القضية المغربية في المحافل الدولية، فقد توجّه في ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٢ إلى نيويورك لحضور دورة الأمم المتحدة ممثلاً حزب الاستقلال، كما حضر إلى هذه الدورة ممثلون عن الأحزاب الوطنية المغربية^(*)، وسعى إلى الحصول على أربعين صوتاً لمصلحة استقلال المغرب، فكانت الأصوات العربية والآسيوية مضمونة، فجّد السعي إلى إقناع الدول الاسكندنافية وأمريكا اللاتينية، ومن أجل ذلك زارَ علال عدة دول منها النرويج والدنمارك والسويد، واستقبله كلٌّ من رئيس الحكومة السويدية ورئيس ديوان وزير الخارجية، ورؤساء

(٢١) المصدر نفسه، ص ٣٩٨.

(٢٢) العلمي، علال الفاسي: رائد الحركة الوطنية، ص ١٠٤.

(*) حضر الى جانب حزب الاستقلال ممثلون عن حزب الشورى والاستقلال وهم: محمد بن الحسن الوزاني، وأحمد بن سودة، ومحمد الشرقاوي. وعن حزب الوحدة والاستقلال: المكي الناصري، وعن حزب الإصلاح الوطني: حضر المهدي بن نونة.

مختلف الأحزاب في ستوكهولم، كما زار بروكسل وجنيف وغيرها من الدول، وكان نتيجة هذا النشاط السياسي أن صوتت الأقطار الاسكندنافية وأمريكا اللاتينية، والولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى الكتلة العربية - الآسيوية من أجل استصدار قرار لمصلحة القضية المغربية.

في مصر تعرّف علال الفاسي إلى الزعيم المصري جمال عبد الناصر، وأعضاء من مجلس الثورة، وذلك بمناسبة انعقاد «مؤتمر منظمة التحرير» في القاهرة، وكذلك من أجل دراسة المسألة المغربية والليبية، وألقى خطاباً نوه فيه بكفاح الشعوب المستعمرة ضدّ الهجمة الاستعمارية، وفي ٢٠ آب/أغسطس ١٩٥٣ تمّ اعتقال الملك «محمد الخامس»، ونفيه إلى «كورسيكا» فلم يتوانَ علال عن نصرة الملك والانتصار للشعب المغربي، فألقى نداءه الشهير من إذاعة القاهرة الذي يعرف بـ «نداء القاهرة»^(٢٣)، الذي دعا فيه إلى النضال المسلّح ضد الاستعمار الفرنسي في المغرب، وكان لهذا النداء أثر بارز في الساحة المغربية، وبعد مدّة يسيرة بدأت أولى عمليات المقاومة المسلحة في المغرب، ثم بعد أسابيع انطلقت عمليات «جيش التحرير المغربي»^(٢٤)، وكان لعلال الفاسي في مصر فضل كبير في تنظيم استراتيجية المقاومة داخل المغرب^(٢٥)، وبعد فترة توالى حركات المقاومة، فكان لاندلاع الثورة الجزائرية في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٤، وتنامي فاعليتها الأثر البالغ في مراجعة فرنسا لسياستها الاستعمارية في المغرب العربي^(٢٦)، وقد كان علال مسانداً للثورة الجزائرية، وكانت له اتصالات وتنسيق مع قادة جبهة التحرير الوطني في القاهرة^(٢٧). بانعقاد «مؤتمر الدول المناهضة للاستعمار» في باندونغ ساهم علال في أشغاله على رأس وفد مغربي في شهر أيار/مايو ١٩٥٥، وألقى بالمناسبة خطاباً ضمّنه مطالب الحركة الوطنية المغربية، وأبدى استعداد بلاده للانضمام إلى دول عدم الانحياز بمجرد الحصول على الاستقلال، كما تعرّف إلى العديد من رؤساء الدول. وفي تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٥ انتُخب علال الفاسي أميناً عاماً للجنة تحرير المغرب العربي خلفاً لبورقيبة، وقرّر برفقة قادة جبهة التحرير الوطني الجزائرية توحيد حركة المقاومة، وذلك بتوحيد الحركتين في تنظيم «جيش تحرير المغرب العربي».

في ٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٥ وصل الملك محمد الخامس إلى باريس مع أسرته، فغيّرت فرنسا سياستها واعترفت به ملكاً شرعياً للمغرب، ونظمت مؤتمراً في «إيكس لييان» جمعت فيه مختلف الاتجاهات المغربية، لدراسة المسألة المغربية ومصير الحضور الفرنسي في المغرب، وانتهى بإعلان اتفاقية مبدئية، وذلك قبل الإعلان عن الاستقلال، وأثناء انعقاد المفاوضات

(٢٣) انظر: علال الفاسي، نداء القاهرة (الرباط: المطبعة الاقتصادية، ١٩٥٩).

(٢٤) العلمي، علال الفاسي: رائد الحركة الوطنية، ص ١٠٧.

Attili, Allal El-Fassi ou l'histoire de l'istiqlal, p. 45.

(٢٥)

(٢٦) انظر: مولود قاسم نايت بلقاسم، «دور الجزائر في استقلال تونس والمغرب»، الثقافة، العدد ٨٣

(أيلول/سبتمبر - تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤)، ص ٦٨.

(٢٧) عبد الله مقلاتي، «دور بلدان المغرب العربي في دعم الثورة الجزائرية، ١٩٥٤ - ١٩٦٢»، رسالة

ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٠ - ٢٠٠١)، إشراف الدكتور حميدة عميراوي، ص ٦٠.

أعلن علال معارضته الشديدة لهذه الاتفاقية، «كما اشترطت فرنسا ألا يكون على رأس أول حكومة مغربية بعد إلغاء الحماية عضو بارز من حزب الاستقلال»^(٢٨). وفي ٦ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٥ وُقِع بروتوكول «لاسيل سان كلو» بين الحكومة الفرنسية والسلطان المغربي في «إيكس ليان»، الذي تمّ خلاله إنشاء مجلس حفظة العرش في الرباط وإنشاء حكومة بمشاركة وطنيين يوافق عليها الملك. وتم الاعتراف باستقلال المغرب في ٢ آذار/مارس ١٩٥٦ في بيان مشترك «فرنسي - مغربي» ثم «إسباني - مغربي»، إلا أن الجلاء الفرنسي لم يتم بصفة كاملة، فقد بقي الجيشان الفرنسي والإسباني في مناطق مغربية؛ سبتة ومليلية والجزر الجغرافية.

غادر علال القاهرة متوجهاً إلى مدريد عبر جنيف، ودعا إلى عقد اجتماع اللجنة التنفيذية للحزب لبحث مواقف من أجل تغيير المباحثات التي جرت في «إيكس ليان»، ثم عاد إلى المغرب واستقر في طنجة، واستقبل استقبالاً حاراً من قبل الجماهير الاستقلالية، كما استقبل بالحرارة نفسها في كلٍّ من الرباط والدار البيضاء وغيرهما من المدن المغربية، وكان محاطاً بحراسة رجال المقاومة، وقد اعتبر أن استقلال المغرب مغشوش ومنقوص^(٢٩)، ودعا إلى تحرير باقي المناطق المغربية. وما كاد يعود إلى المغرب بعد بضعة أسابيع حتى بوغت بحلّ أهم ما كان يستند إليه؛ وهما المقاومة وجيش التحرير، واعتبر ذلك أفزع مكيدة دُبّرت ضده، وخاصة أنه كان يريد تمديد عملها إلى ما بعد تحرير الجزائر طبقاً لما اختطه هو ورفاقه من قادة هيئة التحرير الوطني الجزائرية^(٣٠).

شهد العام ١٩٥٦ انضمام حزب الإصلاح الوطني لعبد الخالق الطريس إلى حزب الاستقلال، وفي هذه الأثناء كان أمين الحزب «أحمد بلافريج» هو مسير الحزب نظرياً، إلا أن المسير الحقيقي كان «المهدي بن بركة»؛ عضو اللجنة التنفيذية للحزب. وقد بلغ حزب الاستقلال من النفوذ في الحكومة ما جعله يسيطر على الإدارة والشرطة، بيد النفاذ إلى الجيش كان صعباً، فقد أنشأ وتولّى تنظيمه ولي العهد مولاي الحسن^(٣١). تعرّض علال الفاسي إلى محاولة اغتيال فاشلة في طريق استقباله الوطني «ببولمان» في إقليم فاس سنة ١٩٥٧، حيث استهدفت سيارته بوابل من الرصاص.

كما مثل علال الفاسي وفد حزب الاستقلال برفقة بلافريج وعبد الرحيم بوعبيد في «مؤتمر طنجة»، الذي عُقد يوم ٢٥ نيسان/أبريل ١٩٥٨، وقد شاركت فيه القيادات الشعبية والرسمية التونسية والمغربية والجزائرية، هذا المؤتمر تناول بالدراسة مسألة حرب التحرير الجزائرية والوحدة المغاربية وتصفية راسب الاستعمار^(٣٢).

(٢٨) أبو عزام، أسرار وحقائق عن علال الفاسي، ص ١٢٦.

(٢٩) علال الفاسي، معركة اليوم والغد، ط ٢ (الرباط: مطبعة الرسالة، ١٩٩٩)، ص ٤٦ - ٤٧.

(٣٠) أبو عزام، المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(٣١) العلمي، علال الفاسي: رائد الحركة الوطنية، ص ١١٧.

(٣٢) محمد خير الدين، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، ٢ ج (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،

[د.ت.])، ص ١٨٧.

ابتداءً من سنة ١٩٥٨ بدأ الحزب يمرّ بأزمة خطيرة نجم عنها انشقاق في صفوفه، وانفصل عنه بعض الأعضاء إثر أزمة حكومية، وتمكّن المنشقون من الحكم، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع علال أن يحفظ للحزب شعبيته ومكانته وتجاوز هذه المحنة^(٣٣). كان علال يكرّس وقته للكتابة في جريدة العلم ويسير جريدته الأسبوعية صحراء المغرب، وعقب الانشقاق في صفوف الحزب نشأت «الحركة الشعبية» و«الجامعات المتحدة لحزب الاستقلال» ثم «الاتحاد الوطني للقوات الشعبية»، وهذا الأخير نشأ في العام ١٩٥٩ من قبل «المهدي بن بركة» و«عبد الرحيم بوعبيد»^(٣٤). في سنة ١٩٦٠ أنشأ محمد الخامس المجلس التأسيسي لوضع دستور البلاد، وانتخب علال الفاسي رئيساً للمجلس، إلا أن هذا المجلس لم يوفق لأسباب سياسية^(٣٥)، وفي السنة نفسها أعيد تعيين علال رئيساً للحزب، وبعد وفاة الملك عام ١٩٦١ تولّى العرش الملك الحسن الثاني، فقام الملك الجديد بتأليف حكومة أقصى فيها جناح الانفصاليين (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية) ومنح حزب الاستقلال ثلاثة مناصب وزارية، عُيّن خلالها علال الفاسي وزير دولة للأوقاف والشؤون الإسلامية^(٣٦). كما أسهم علال في وضع دستور المغرب لسنة ١٩٦٢، إلا أنه في أول كانون الثاني/يناير ١٩٦٣ استقال من الوزارة، برفقة ممثلي حزب الاستقلال احتجاجاً على السياسة الاقتصادية المتبعة. بقي علال في المعارضة بعيداً من تولّي الوظائف الحكومية، وفي السنة نفسها انتخب عضواً في مجلس النواب، وكان له إسهام معتبر في الأعمال التشريعية التي أصدرها المجلس. كان علال يمارس الديمقراطية داخل الحزب، ولم يعمل على فرض نفسه كرئيس للحزب، لذلك كان يُنتخب في كل مرة، فقد تجدد انتخابه رئيساً لحزب الاستقلال عدة مرات في السنوات (١٩٦٠ و ١٩٦٢ و ١٩٦٥ و ١٩٦٧). وفي ١٠ تموز/يوليو ١٩٧١ دُعي علال إلى حضور حفل الاستقبال في قصر الصخيرات الصيفي، بمناسبة الذكرى الثانية والأربعين لميلاد ملك المغرب، وفي هذا اليوم وقعت محاولة انقلاب عسكرية فاشلة، نجا فيها علال من الموت.

زار علال الفاسي الجزائر بمناسبة انعقاد مؤتمر الفكر الإسلامي، واطلع على أعمال وزارة الشؤون الدينية، وأعجب بالإصلاحات الدينية هناك، وأشاد بها في مقال له بمجلة الأصاله التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية في الجزائر^(٣٧). وفي سنة ١٩٧٤ زار علال رومانيا بدعوة من «جبهة الوحدة الاشتراكية»، وكان برفقة أحمد بوسنة وعبد الحفيظ القادري، وقابل علال في هذه الزيارة رئيس الجمهورية الرومانية «نيكولاي تشاوسيسكو»^(*)، وذلك يوم ١٣ أيار/مايو، وتناول الحديث القضايا العربية والعلاقات العربية - الرومانية، وأثناء هذا الحديث أصاب علال

(٣٣) غلاب، تاريخ الحركة الوطنية في المغرب: من نهاية الحرب الريفية إلى إعلان الاستقلال، ص ٢٠٥.

(٣٤) Attili, *Allal El-Fassi ou l'histoire de l'istiqlal*, p. 46.

(٣٥) غلاب، المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٣٦) العلمي، علال الفاسي: رائد الحركة الوطنية، ص ١٣٠.

(٣٧) انظر: علال الفاسي، «وجه الجزائر المسلم»، الأصاله (الجزائر)، العدد ٦ (كانون الثاني/يناير

١٩٧٢)، ص ٢٦.

(*) تشاوسيسكو رئيس جمهورية رومانيا من سنة ١٩٦٧ إلى سنة ١٩٨٩.

انهيار واختناق في مكتب الرئيس الروماني، نقل إثره إلى المستشفى حيث لفظ أنفاسه الأخيرة بعد ساعة من الإصابة، وذلك بعد ظهر الإثنين ١٣ أيار/ مايو ١٩٧٤.

سابعاً: العروبة والقومية العربية عند علال الفاسي

ينطلق تفكير علال الفاسي في مسألة الوحدة العربية من كون المغرب ينتمي إلى القومية العربية، على الرغم من أن التشكيلة الاجتماعية لسكان المغرب هي من العرب والبربر. ومن أناشيده التي كان يوجّه بها الشباب ويلهب حماسهم نشيد يقول فيه: «كلنا من عربي خالص أو بربري»^(٣٨). وعلى الرغم من كون علال يركّز اهتماماته على بلده المغرب «إلا أنه كان يفكر أيضاً وبالمقدار نفسه في الأجزاء الأخرى من العالم العربي الإسلامي، منبهاً إلى ضرورة دراسة الشروط المحلية لكل بلد أثناء عملية تحقيق النهوض والتقدم»^(٣٩).

نضال علال ذو أبعاد عربية وإسلامية، وهذا النضال يتجه نحو الوحدة العربية القائمة على أساس الاتحاد والتعاون، إذ يقول^(٤٠): «أما الوحدة العربية فهي اتجاهنا الذي لا يناقضه أي رغبة في الاتحاد أو التعاون مع غيرنا»، وهذه الوحدة هي أمل كل عربي غيور على قيمه ومبادئه. ويعتبر علال أن الوحدة العربية قد تحققت عند نشأة الجامعة العربية: «لقد أصبحت الوحدة العربية التي ظلت في نظر الكثيرين أملاً بعيد التحقيق حقيقة واقعة، وظفر المواطنين العرب الذين قضوا أجيالاً عديدة في بذل الجهود من أجل هذه الوحدة بتحقيق وحدتهم... ووقع ميثاق الأمم العربية يوم ٢٢ آذار/مارس سنة ١٩٤٥ من طرف الحكومات العربية المستقلة؛ وهي مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وسورية ولبنان واليمن وشرق الأردن»^(٤١).

لم يهتم علال في نظرته إلى هذه الوحدة بجانبها الشكلي بقدر اهتمامه بحقيقتها، ومدى انعكاس آثارها في الواقع العربي، وأكد أن ذلك لن يتحقق إلا بانفتاح العرب بعضهم على بعض، ليتحقق التقارب، ومن ثم يقع التفاهم بينهم، وخصوصاً أن الاستعمار قد ترك آثاره الفكرية والثقافية في ربوع الوطن العربي، لذلك كان من مقتضيات هذه الوحدة القضاء على الفوارق التي أحدثتها الاستعمار، وذلك عن طريق «التواصل بين الهيئات الشعبية التي تؤمن بمبدأ الوحدة، وقيامها بعمل مشترك دائم حتى تنهياً الفرصة الصالحة، وإذا بالشعب العربي يستجيب لأمله الذي يملأ جوانحه، ولا يغطي عليه إلا الخلاف وتضارب مصالح الرؤساء»^(٤٢)، إذاً فأساس هذه الوحدة هو تواصل الشعوب العربية وقيام المصالح المشتركة الدائمة، وليس هناك من عائق

(٣٨) غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي، ص ١٤٢.

(٣٩) فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكر الإسلام في العالم العربي الحديث، ط ٢ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١)، ص ٣٧٣.

(٤٠) الفاسي، معركة اليوم والغد، ص ١١٢.

(٤١) الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص ٤٩١.

(٤٢) الفاسي، معركة اليوم والغد، ص ١١٢.

لهذه الوحدة إلا تعارض مصالح الزعماء وتضاربها. إن هذا التواصل بين الشعوب العربية يبعث تجانساً في الفكر والثقافة، الشيء الذي يزيد في لحمه أبناء البلاد العربية، ويدفعهم إلى الالتفاف حول قضاياهم المشتركة. والعروبة عند علال ليست مسألة عرقية أو جنسية، فالقومية العربية بالنسبة إليه تتجاوز المفاهيم الضيقة لأن «القضية ليست قضية جنسية أو عنصرية، فكلنا ننتمي إلى جنس واحد وعنصر واحد ولكنها قضية واقع وفكر وثقافة»^(٤٣)، فأكد بهذا الكلام عروبة المغرب التي تقصد المعنى الواسع الذي يشمل الفكر والثقافة الإسلامية «لا يزعم أحد أنه عربي خالص أو بربري خالص، فمن الذين يزعمون أنهم عرب خُصّ انحدروا من عائلات بربرية، ومن الذين يزعمون أنهم بربر خُصّ شرفاء انحدروا من عائلات عربية، والقبيلة لا محل لها في بلد وحده الإسلام ومنحته العروبة القرآن وعلوم اللسان»^(٤٤)، وعلال يبدي تعلقه بالوحدة المنشودة، ويمدّ يده إلى كل الذين يعملون في استقلال تام عن كل تبعية للشرق أو للغرب، «في وعي من ماضي العرب ومستقبلهم لمصلحة الوحدة والحرية»^(٤٥).

ومن باب حرصه على عروبة المغرب ناضلَ علال من أجل أن تكون اللغة العربية اللغة الوطنية والرسمية للبلاد، على المستوى الدستوري والقانوني، وكذلك على مستوى التربية والتعليم والقضاء والإدارة، وكان يعتبر استقلال المغرب استقلالاً ناقصاً ما لم يكن مشفوعاً باستقلال فكري أساسه اللغة الوطنية، وتعريب مرافق الدولة، وخطا خطوات واسعة نحو التعريب «لأن التعريب هو الأساس في تكوين الشخصية المغربية»^(٤٦)، وقام بتعبئة الشعب المغربي للكفاح من أجل هذه الفكرة «لأن التحرر من الاستعمار، وممارسة السيادة في الحقيقة يقتضيان العمل والتخطيط وفقاً لما يتوافق مع قوة العروبة في البلد ومع هويته الحضارية»^(٤٧). وقد كان علال يلحّ على توحيد البلاد العربية حتى إن كان ذلك في وحدات إقليمية «كمقدمة للوحدة الشاملة»^(٤٨)، وكان آخر نداء وجهه عندما كان في أبو ظبي ثم الكويت أنه يجب على إمارات الخليج أن تتوحد لصد كل عدوان عليها.

يمكن أن نخلص من خلال هذه الدراسة إلى أن علال الفاسي كان من القادة المغاربة الذين قادوا المغرب نحو الاستقلال الوطني، في إطار حركة تحررية تجمع بين السياسة والثورة، كما كان يرمي إلى بناء دولة أساسها العدالة والحرية، في إطار الملكية الدستورية، هذه الدولة ذات انتماء عربي إسلامي، لذلك نجده يدعو إلى الوحدة العربية، والمغربية، عن طريق التعاون وتبادل المصالح، لأن ما يجمع الأمة العربية أكثر مما يفرقها □

(٤٣) غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي، ص ١٤٣.

(٤٤) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(٤٥) الفاسي، المصدر نفسه، ص ١١٣.

(٤٦) العلمي، علال الفاسي: رائد الحركة الوطنية، ص ٣١٩.

(٤٧) العلوي، الوطنية والتحديثية في المغرب: مجموعة دراسات حول الفكر الوطني وسيرورة التحديث

في المغرب المعاصر، ص ١٦٠.

(٤٨) غلاب، ملامح من شخصية علال الفاسي، ص ١٤٥.